صورة الغرب في رواية "ثرثرة فوق النيل"
لنجيب محفوظ

الباحث/أحمد جمال علي السيد عويضه

الملخص:

صورة الغرب في رواية " ثرثرة فوق النيل" امتداد لصور غربية سابقة عكست تطور الثقافة الغربية في الذهنية الشرقية، على مدار فترات زمنية متفاوته، انبثقت من طبيعة الظروف السياسية والاجتماعية التي خاضتها الأمة، وكذلك من تطورات الفكر المصري وتفتحه على الثقافات الغربية، ومن منظور آخر كانت انعكاسًا لنجاح المخططات التغريبية التي مارسها الغرب على الشرق الإسلامي؛ لذلك كانت صورة الغرب في رواية "ثرثرة فوق النيل" تمثيل للصورة الأخيرة من التصور الشرقي للغرب، وهي"الصورة الذائبة". وهذه الصورة لها أبعادها المختلفة وعواملها التي شاركت في تكوينها، فكان لها آثار خطيرة على التوجه الفكري، وأنماط السلوك؛ فخلقت جيلًا متشبعًا بقيم وعادات غربية، انتقلت إليه عن طريق الوراثة الأيديولوجية وما صاحبها من مؤثرات، فورثها وتعايش معها ومن خلالها كأنها من خصائصه الاجتماعية وملامحه القومية. وقد عالجت الرواية عددًا من القضايا التي شغلت الساحة الفكرية عند الأجيال السابقة، وجاءت هذه المعالجة مستقاة من روح العصر الذي عاش فيه نجيب محفوظ؛ لذلك جاءت مغايرة للمعالجات السابقة، فقد تناول قضية المادية، ووضح كيف أصبح للشرق مادية خاصة بهم، وقام بإبراز قضية الدين والعلم، وبين تأثيرها على المجتمع، كما أثار قضية الحرية والتحرر، وكيف انحرف مفهومهما في الثقافة المصرية حتى أصبحت الحرية وسيلة للتحرر، كذلك تعرض لقضية المرأة من خلال عدد من النماذج النسائية، التي عكست التطور الثقافي للمرأة.

The image of the West in the novel ‘‘Chitchat on the Nile’’ is an extension of previous Western images that mirrored the development of the Western culture within the Eastern mentality over different periods of time, emerged from the nature of the political and social conditions that the

nation went through, as well as from the developments of the Egyptian thought and its opening to Western cultures. From another perspective, it was a reflection of the success of the Westernization schemes practiced by the West on the Islamic East. Therefore, the image of the West in the novel "Chitchat on the Nile" was a representation of the last image of the eastern perception of the West, which is the "melted image." This image has its various dimensions and factors that participated in its formation. It had critical effects on intellectual orientation and behavior patterns, thus creating a saturated generation with Western values and customs through the ideological heredity and the influences that accompany them, which that generation embraced and got along with as if they were among its social and national characteristics.

عند التعرض لصورة الغرب في رواية "ثرثرة فوق النيل" (١٩٦٦) يتبادر إلى الذهن سؤالٌ يفرض نفسه وهو: **ما هي حقيقة صور الغرب، وأين انعكاسه في الرواية؟** وهذا التساؤل يعتمد عليه هذا البحث في توضيح الكيفية التي شغل بها الغرب الثقافة الشرقية، وكيف تعامل معه الفكر المصري وما خلفيات هذا التعامل حتى وصلنا إلى الصورة التي تعكسها رواية "ثرثرة فوق النيل".

وصورة الغرب وإن كانت انعكاس للمخيلة المصرية عن الغرب نتج من الاحتكاك المباشر معه والإعجاب به، إلا أن حقيقة وجود هذه الصورة ترجع أولًا للغرب نفسه؛ حيث عمل اجتذاب الفكر المصري ناحية الغرب، في محاولة منه لانتشاله من عقائده وتراثه؛ لتحقيق أهداف استعمارية فشل في تحقيقها سابقًا؛ لذلك نبعت هذه المؤامرات التغريبية من الصورة المؤلمة التي تركها الإسلام في مخيلة الغرب؛ حيث سبب الإسلام لأوروبا صدمات نفسية متصلة الحلقات، وكان رمزًا يجسد رعبًا في المخيلة الغربية،"[١].

ومن هنا شهدت نهاية الحروب الصليبية تحولًا فكريًا خطيرًا تجاه الشرق؛ حيث استقر عند الغرب أن طبيعة التركيب الإسلامي والشرقي هو سر صمود الشرق أمام جحافل الغرب الاستعمارية وتحقيق انتصارات حربية عليه؛ لذلك بدأ التوجه ناحية ما وسم بعد ذلك " **بالخطط التغريبية**"، التي تستهدف الفكر والعقيدة الشرقية[٢]، ، خاصة بعد وصية ملك فرنسا بعد فشل حملته وأسره في دار ابن لقمان[٣]، وبناءً على ذلك أصبح هذا الأمر توجهًا سياسيًا تهتم به الحكومات وتسعى إلى تحقيقه بكل همة، فنجد مستر جلادستون رئيس وزراء إنجلترا يقول في مجلس العموم البريطاني إن القضاء على العقيدة الإسلامية أمر حتمي لاستقرار المستعمرات الإنجليزية في الشرق[٤].

وساعد على تحقيق تلك الخطط الحكم العثماني لمصر (١٥١٧-١٧٩٨)؛ حيث كان عصر انطفاء ومصادرة؛ فانطفأ نور العلم وخمدت جذوة الفكر، وانفصل المصري عن استقلاله فقوضت حريته، وأقصيت مصر عن صناعتها وفنونها[٥]، وقد أسس الحكم العثماني نظامًا سياسيًا فاسدًا، فسقطت الدساتير المنظمة لعلاقة الفرد بالحاكم، وانتزعت الحرية من حياة الناس[٦].

ولعل القواسم المشتركة بين عصور الظلام في الغرب، وبين الظلام الذي فرضه الحكم العثماني على مصر كانت أمام نظر وفكر مفكرينا الأوائل، الذين أرادوا تحقيق نهضة شاملة لمصر اعتمادًا على نجاح التجربة في أوروبا؛ حيث الثورة على الكنيسة الممثلة للدين، والاتجاه نحو المادية ونبذ الجانب الروحاني من الفكر والسلوك[٧]، وبناءً على ذلك أصبح الغرب هو المرجع والمنبع الذي استقى منه الفكر المصري الحديث أسس الحضارة وسبل التقدم، يقول الدكتور شوقي ضيف:" وأخذنا بعد خروج الحملة من ديارنا نتجه إلى أوروبا ونحاول أن نفيد منها في الحياة العقلية والأدبية، فقد أدارت مصر وجهها إلى الشمال، وأخذت تفتح أنهارها الذهنية والفكرية لاستقبال جداول الحياة العقلية الأوربية"[٨]. فكانت النتيجة أن **احتقر المصري أحواله، وانفصل عن تاريخه، وامتهن وجوده وسط زحام الحضارة الحديثة ففقد ثقته في نفسه، وانخدع وانساق خلف ثقافات الغرب المزيفة** حتى أصبحت" الفكرة المنسوبة إلى أوربي تحترم بغير بحث، والفكرة المنسوبة إلى مصري أو شرقي تهمل بغير فحص"[٩].

ومن هنا حظيت دراسة الغرب في الخطاب العربي اهتمامًا كبيرًا؛ حيث أصبح الغرب يُشكل مادة أساسية تقوم عليها الكتابات الذهنية، وقد انعكست هذه التحولات الفكرية الخطيرة

والعميقة بكافة مراحلها المختلفة على الرواية المصرية؛ حيث استطاع هذا الفن الحديث أن يُمثل كل الأحداث التي مرت بها الأمة ويُعبر عنها ويؤرخ لها في شكل فني بديع، فقد رصدت الرواية تطور الفكر المصري منذ بداياته الأولى من خلال الصور المتعددة التي أنشأها عن الغرب والتي انقسمت من خلالها الذات المصرية من ذات واحدة إلى ذات متعددة، فنجد الذات المقلدة والذات التي ترفض الغرب، والذات التي تحاول المزج بين الشرق والغرب، والذات الذائبة. كل هذا استطاعت الرواية أن تحويه وتعبر عنه، وكذلك قدمت معالجات فكرية فنية قيمة.

ومن هنا كان شكلت صورة الغرب في الرواية ثلاث صور عامة، **الصورة الأولى** تعكس رؤية الشرق للغرب، وهي رؤية تهتم بدراسة الغرب اهتمامًا خالصًا من جميع النواحي السياسية والاجتماعية والفكرية، ويمثل هذه كتاب: "تخليص الإبريز في تلخيص باريز"، وكتاب "علم الدين"، و**الصورة الثانية** تعكس تطور الصور التخيلية لهذا الآخر بانعكاساتها المختلفة في الذهنية المصرية، فتدرس الغرب من خلال تبيان أثره المتدرج على الثقافة والفكر والمجتمع الشرقي، ويمثل هذه المرحلة رواية "حديث عيسى بن هشام"، ورواية "زينب"، ورواية "عصفور من الشرق"، و**الصورة الثالثة** تعكس ذوبان الشرق في الغرب وانطباع مظاهر الفكر والاجتماع الغربي في مصر، كذلك أثر هذا الذوبان على البيئة المصرية التي تختلف جذريًا عن البيئة الغربية، ويمثلها "رواية ثرثرة فوق النيل"(١٠).

ومن هنا اختلفت رواية " ثرثرة فوق النيل" اختلافًا كبيرًا عن صورة الغرب في المراحل الفنية التي سبقتها؛ حيث أخذت صورة الغرب أطوارًا مختلفة خلال رحلتها بين الأجيال والفكر المصري الناشئ؛ حيث كان وجود الغرب في فكر ومخيلة الجيل المعاصر للحملة الفرنسية غير الجيل المعاصر للاحتلال الإنجليزي، غير الجيل الذي عاش بين الحربين العالميتين، غير الجيل الذي عاش بعد ثورة (١٩٥٢)، فكان كل جيل يمثل مرحلة مستقلة لها ظروفها التي أخرجت لنا فكرًا يعكس كيفية وجود صورة الغرب فيه.

وعلى ضوء ذلك يمكننا إرجاع خلفيات وجود صورة الغرب التي انطبعت على صفحات رواية"ثرثرة فوق النيل" إلى ثلاثة عوامل، يمكننا من خلالهم تصور الكيفية التي تطور بها رؤية الثقافة والفكر في المجتمع المصري تجاه الغرب في ذلك الوقت، وهذه العوامل هي:

١- العامل السياسي.

٢- العامل الاجتماعي.

٣- العــامل الفكـري.

أولا العامل السياسي:

يقول عبد الرحمن الرافعي:" إن المجتمع الراقي السليم هو ولاريب أقدر من المجتمع المتأخر السقيم على تحقيق أهداف البلاد، وأقدر منه أيضًا على احتمال أعباء الدفاع الوطني ومواجهة الأزمات السياسية والاقتصادية"[١١]، وقد كانت الأحداث السياسية التي مرت بها مصر في عصرها الحديث لها أثر واضح ومؤثر في نفوس الشباب والأجيال التالية، بداية من الاحتلال الإنجليزي(١٨٨٢) وسياساته التخريبية التي حالت دون حصول مصر على استقلالها، كذلك سياسات الملك فاروق العابثة التي لم تحترم الدستور ولم تحافظ على استقلال الدولة[١٢]، وقد مهد هذا الفساد الضارب في كل أركان الدولة لقيام ثورة (١٩٥٢)، ولكن لم يكن الطريق ممهدًا أمامها لتحقيق أهدافها الاصلاحية، فكان هناك العديد من العوائق بداية من خلع الملك فاروق عن الحكم في (٢٦ يوليو ١٩٥٢)، ثم إلغاء النظام الملكي وإعلان الجمهورية؛ ثم الصراعات العسكرية والدبلوماسية لتحقيق الاستقلال حتى تم توقيع اتفاقية الجلاء الأولى سنة (١٩٥٤)، كذلك واجهت العديد من المتاعب في السياسة الداخلية والتي تمثلت في الإخوان المسلمين الذين ناصبوا العداء للثورة، وما أعقب ذلك من محاولات تخريبية تُديرها شبكات جاسوسية صهيونية لعمل مؤامرات ضد الثورة، مما دفع مجلس قيادة الثورة لحل جماعة الإخوان المسلمين في (١٤-١-١٩٥٤)[١٣]، ومع ذلك فإن الساحة السياسية لم تستقر أحداثها حيث العدوان الإسرائيلي على مصر بمعاونة إنجلترا وفرنسا في (٢٩-١٠-١٩٥٦)، وما أعقبه من حرب اليمن سنة (١٩٦٢)، والتي استنفذت فيها مصر طاقتها المالية وقوتها البشرية.

فهذه الصراعات العسكرية وما صاحبها من خسائر وآلام وأوجاع مستمرة متلاحقة، ورغم مما حققته من مكاسب إلا أنها كانت حائلًا دون استقرار الأوضاع السياسية وبناء جبهة وطنية متفاهمة على إقامة دعائم جديدة للدولة وتضمن الاستقرار لباقي الأوضاع الاجتماعية والثقافية والفكرية والاقتصادية.

ثانيًا العامل الاجتماعي:

كان هناك العديد من المؤثرات التي أثرت على المصريين، وخلقت لديهم فكرًا ووعيًا جديدين تجاه قضايا بلدهم ومستقبله الفكري والعلمي منها الاحتلال الإنجليزي ومن قبله الفرنسي، وقد ساعد على هذا التغير الثقافي والفكري وساهم بشكل كبير فيه البعثات العلمية إلى الغرب، التي رجع مرتادوها مشبعين بالثقافة الغربية، ولكن ومع ذلك فقد كان هناك عوامل أخرى لها تأثير أقوى وأخطر على الأمة المصرية تمثلت هذه العوامل في الجاليات الأجنبية[١٤] المختلفة التي كان وجودها ضمانًا لاستمرار الثقافة الغربية وبقائها داخل تكوين الفرد ومكن لها النمو المتصاعد داخل نسيج المجتمع المصري، حتى أصبح المصري بعد عدة سنين غربيًا في تصرفاته وسلوكياته؛ حيث استطاعت الثقافة الغربية أن تغرس لها جذورًا خبيثة ومتشعبة بهدوء وقوة في أركان الأمة، وتمكنت من أن تزحزح العقائد الشرقية داخل نفوس المصرين شيئًا فشيئًا، وهذه الثقافات تحققت مع طول اختلاط المصرين مع الأجانب.

فقد كان للجاليات الأجنبية في مصر بأعدادها الكبيرة وجنسياتها المختلفة أثرها الواضح والملموس على الشعب المصري بكل طوائفه وعلى مختلف نظمه الاجتماعية حيث تُعد من العوامل الأساسية في تفتيت ثوابت الأمة المصرية وتغير فكرها؛ وساعد على ذلك التسهيلات العديدة التي حصل عليها الأجانب في ظل الامتيازات الأجنبية فعاثوا في مصر الفساد والخراب في كافة النواحي في ظل حماية الاحتلال الذي ضغط على الحكومة المصرية لتفتح لهم كل السبل وتذلل لهم كافة الصعاب لتسيير أعمالهم الحسنة والسيئة على السواء، فاستطاعوا نقل المدنية الغربية بخيرها وشرها إلى مصر، حتى أصبحت عادات هؤلاء الأجانب تُورث للأجيال وكأنها إحدى الهوُيات الشرقية؛ لذلك كان تسليط الضوء على وجود الأجانب في مصر وما يحملونه من ثقافات مختلفة وانعكاساتها على المجتمع المصري حتمي لتوضيح خلفيات تطور صورة الغرب في رواية "ثرثرة فوق النيل".

ثالثًا العامل الفكري:

إن الغزو الفكري من أخطر الأمور التي قد تتعرض لها أمة من الأمم، لما فيه من تهديد لثوابت الأمة حيث يهدد عقيدتها وهويتها وثقافتها"[١٥]، والأمة المصرية مرت عليها ولا زال يمر

العديد من المؤامرات الفكرية والثقافية في الأجيال السابقة كان الرأس المدبر لها الغرب بأسلحته المختلفة، ومع ذلك كان هناك العديد من الإسهامات الفكرية المصرية توازت مع بدايات عصر النهضة وانبثقت من ثقافات غربية أراد المفكرون والأدباء من خلالها تحقيق طفرة تقدمية في الحياة العقلية والأدبية تتناسب مع تاريخ الإنسان المصري ليدرك ما فاته وليتخذ مكانته الحقيقية، مثل رفاعة الطهطاوي، قاسم أمين، سعد زغلول، أحمد لطفي السيد، محمد حسين هيكل، طه حسين، ذكي نجيب محمود، هدى شعراوي، شفيقة إدريس، وغيرهم الذين كان مصدر قوتهم غيرتهم الشديدة على الأمة المصرية وحرصهم على وصول مصر بأبنائها وبناتها إلى مصاف الأمم المتقدمة، أناس تتقاتل الأفكار داخل رؤوسهم لتحقيق رفعة وعزة مستحقة لمصر، ولكن كان اندفاعهم الشديد نحو تحقيق هذه الإرادة الفكرية سببًا في تقلص الوعي لديهم في اتجاه محدد حين قرروا التعامل مع معطيات الثقافة الغربية؛ حيث أخطأوا تقييم الحالة الواقعية التي كان يمر بها المجتمع المصري والتي كانت مستقرة فيه لسنوات طويلة.

وعلى هدى هذا الإرشاد يمكننا أن نتقصى صورة الغرب في رواية "ثرثرة فوق النيل"، التي كانت تمثيلًا للصورة الذائبة في الغرب عند شريحة معينة من الشعب المصري ضمت فئات متباينة جاءت لتدلل على تدرج الثقافة الغربية في مخيلة وذهن وثقافة وسلوك الإنسان المصري منذ كتاب"تخليص الإبريز في تلخيص باريز" لرفاعة الطهطاوي، و"علم الدين" لعلي مبارك، مرورًا برواية " زينب" لهيكل، و"عصفور من الشرق" لتوفيق الحكيم، و" قنديل أم هاشم" ليحى حقي، فكل رواية من هؤلاء كانت تحمل بعدًا ذهنيًا تجاه الغرب اتسم بالاتساع والتدرج في علاقتنا بالغرب، وحتى وصلنا لرواية "ثرثرة فوق النيل". **ويمكننا أن نهتدى إلى الصورة الذائبة في الرواية من خلال الأربع نقاط الأتية:**

١ – المادية الشرقية.

٢ – الدين والعلم.

٣ – الحرية والتحرر.

٤ – المرأة.

١- المادية الشرقية:

هل أصبح للشرق مادية خاصة به؟ وما هي أبعادها؟ وما أهدافها؟، في رواية "ثرثرة فوق النيل" نجد أن الحياة المادية عند الغرب أصبحت توجهًا عند فئات مختلفة من الشعب المصري، واستقرت فيهم بنسب متفاوته وفقًا لما تعرضوا له من مؤثرات غربية؛ حيث سنجد أن الروحانية الشرقية التي ارتكزت عليها المراحل الفنية التي سبقت رواية" ثرثرة فوق النيل" اهتزت دعائمها وتخلخلت أركانها، ولكن هذا الطابع الغربي لم يحقق المادية الغربية –رغم عيوبها– وبالتالي لم تتحقق ثمارها، فلا ثبتت روحانيتنا ولا تمسكنا بأطراف المادية الصحيحة، ونتج عن ذلك المادية الشرقية، التي جاءت انعكاساتها ومظاهرها خارج العاطفة الشرقية، فكانت عبارة عن مظاهر مادية مستقاة من مجتمع غربي اجتمعت مع حالة الخمول المصري، فأصبحت أداة لتحقيق المنافع والمكاسب الفردية على حساب الأمة، فسادت الآفات الاجتماعية في مصر، ولم تحقق هذه المادية شيئًا مما حققته المادية الغربية، فالمادية الشرقية في رواية "ثرثرة فوق النيل" تعني العبث، والعبث هو المعنى الذي ذكره نجيب محفوظ في الرواية، وهو فقدان المعنى وانهيار الإيمان وعدم الانتماء.

ونجد صورًا عديدة لهذا العبث في الرواية، فالمادية الشرقية تشتت لديهم عقيدة الانتماء يقول مصطفي راشد:" الحق أننا لا مصريون ولا عرب ولا بشر، نحن لا ننتمي لشيء إلا لهذه العوامة"(١٦)،كذلك المادية الشرقية تجعلهم يتحررون من عاطفتهم الشرقية التي ظلوا يتوارثونها أجيالًا بعد أجيال، يقول خالد عزوز" الغيرة ليست غريزة كما يقول الجاهلون. ولكنها تراث إقطاعي "(١٧).

والمادية الشرقية تخلق صورًا ساقطة للمرأة المصرية؛ فنجد امرأة تنتحر لخلاف مع عشيقها، رغم أن الانتحار من الأفعال التي تدينها المعتقدات الشرقية، كما أن كلمة العشق كانت تستخدم في التعبير عن قوة المشاعر، أمَّا هنا فاستخدمها مختلف؛ حيث خرجت من طور الشعور إلى طور الممارسة وهذا أيضًا مما يخالف المعتقدات الشرقية.

كذلك نجد المرأة الحديثة رغم ما وصلت إليه من تطور أدبي وعلمي ينظر إليها رجل العوامة بذهنية لا تتناسب مع هذا التطور، والغريب أنها تتقبلها وتعيش من خلالها، فنجد المرأة تورث في العوامة، ولكن ليس وفقًا للمفاهيم والأعراف السائدة ولكن وفقًا للمادية الشرقية يقول خالد عزوز:" علينا من الآن أن نتفق على وريث لسناء"(١٨)،كذلك نجد المادية الشرقية في

تعريفهم للفلسفة؛ حيث تتسأل سمارة عن منطق مصطفى راشد، هل يصلح أن يكون فيلسوفًا، فيرد على السيد:" بمعني عصري للفلسفة إن شئت، الفلسفة التي تجمع بين السرقة والسجن والشذوذ الجنسي على طريقة جينية"[١٩]،كما أن المادية الشرقية تخلق معنى جديدًا للدين ؛حيث تفصله عن باقي أمور الحياة، فتفصل الدين عن العلم وعن الأخلاق وعن شتى أمور الحياة، فنجد مثلًا عبارة مثل" مات رجل طيب ممن كانوا يحافظون على صلاة الفجر"[٢٠]، فهذه العبارة يقولها الخفير لأنيس، فما هي خلفيات جملة كهذه في مكان يشهد مع كل فجر جديد انتهاء سهرة ماجنة. فالفجر إذن لدى هذه الشريحة له دلالة أخرى غير الدلالة العقائدية.

كذلك تظهر المادية في تصرفات هذه الشريحة من خلال موقفهم من الحادثة التي قتلوا على إثرها أحد الأشخاص، فنجد محفوظ يستخدم أنيس لإبراز الروحانية الشرقية حيث يقول" ترى أما زال يتألم؟ ألم يعرف لماذا أو كيف قتل؟ أو لماذا وجد؟ أم انتهي إلى الأبد، وهل تمضي الحياة كأن شيئًا لم يكن"[٢١]،كما يستخدم سمارة لتوضيح المادية التي استوطنت تفكيرهم؛ حيث تستنكر ذلك الهروب وترى أن الواجب كان يحتم عليهم تفقد هذا الحادث، فتقول:" مات في جانبًا لا يعوض"[٢٢]، فكان هذا الندم سببًا في آثاره قلقهم، فيقول لها على السيد :" لابد من شيء من المرونة لكي نواجه أعباء الحياة، ليس الحادث المؤسف بقضية وطن ولا مبدأ، المسألة بكل بساطة مجهول قتل خطأ"[٢٣]، فنهاية الموقف تكتب الانتصار المادية؛ حيث تهدأ نفس سمارة المضطربة ويختفي إحساسها بالواجب وتستبدله بالخوف من بلاغ أنيس الذي يطمئنها:" علي أي حال ستحميهم لا أخلاقياتهم من ارتكاب حماقة أخلاقية"[٢٤].

إذن كانت مظاهر المادية الغربية التي تم نقلها كما هي دون تنقية أو مراعاة للبيئة الشرقية البوابة لغزو مظاهر الثقافات الغربية، فبدلًا من أن تعدل أوضاع خاطئة خلخلت أصولًا ثابتة،

وأقامت غيرها مما لا يتواءم مع الطبيعة الشرقية ولا عاطفة الحياة فيها.

٢- الدين والعلم

إن مفتاح الحضارة المصرية يكمن في تمسك المصري بدينه، فقد تعددت الضربات الغاشمة التي تلقتها مصر ولكن لم يثبت لعدون عليها جذور، ولم يستقر لملوك طغاة فيها عروش، وقد

أدرك الغرب من خلال دراساتهم الاستشراقية قيمة الدين في تكوين المصري، ومن هنا لمعت الفكرة التي تحولت إلى مخطط غربي هدفه فصل الدين عن حياة المصري، وانتزاعه من عقائده لكى يكون صالحًا للتطويع، ومن ثم توالت المؤامرات الفكرية لهدم الدين وفصله عن الحياة بدعوات زائفه نحو العصرية والتقدم، يقول الدكتور علي جريشة:" وأيقن الغرب المسيحي أنه مهما ضعفت دولة الإسلام فإنه لن يستطيع النيل منها حتى ينال أولًا من عقيدتها وفكرها"[٢٥].

وعند نجيب محفوظ نجد أن قضية الدين والعلم أخذت بُعدًا جديدًا يُعد تطورًا عن المراحل السابقة[٢٦] التي تُعد مقدمات للصورة عند نجيب محفوظ، كما تُعد الصورة التي تعكسها روايات نجيب محفوظ مقدمة لما سيأتي بعده وذلك تبعًا لحركة التطور الطبيعية التي يضمنها الزمن.

وقضية الدين والعلم ظهرت بصورة مباشرة في رواية "القاهرة الجديدة"؛ حيث يصور لنا نجيب محفوظ ثلاثة تيارات في الرواية، **التيار الأول**: تيار العلم ويمثله شخصية علي طه الذي يرى في العلم المادي الوسيلة والأمل؛ يقول محفوظ" وأخيرًا ظفر بمنقذه، التقى بأوجست كونت رجل المجتمع وبشره الفيلسوف بإله جديد وهو المجتمع ودين جديد وهو العلم، آمن بالمجتمع البشري والعلم الإنساني.."[٢٧]، و**التيار الثاني**: تيار الدين ويمثله مأمون رضوان الذي يرى أن التمسك بالدين ضرورة لتحقيق ما يصبو إليه الإنسان وما يأمله من السعادة فيقول:" الدين.. الإسلام بلسم لجميع آلامنا"[٢٨]، **والتيار الثالث**: تيار المصلحة الشخصية الذي يتحرر من كل القيم والعادات والأفكار والمناهج ويعتنق ما يخدم أهدافه وتطلعاته الخاصة، فإذا توجب عليه أن يكون متدينًا كان متدينًا، وإن تحتم عليه أن يكون فيلسوفًا كان فيلسوفًا، وإن فُرض عليه أن يكون زنديقًا كان زنديقًا، ويمثل هذا التيار شخصية محجوب صاحب المعادلة المادية البحتة والتي ترى أن" الدين+ العلم+ الفلسفة+ الاخلاق= طظ "[٢٩].

فهذه المادية استوردناها فيما استوردناه من ثقافات الغرب، ثم طورناها حتى أصبح لنا مادية شرقية خاصة، مادية نزلت في نفوس هذا التيار منزلة الدين في الاعتقاد والثبات يقول محجوب:" إن أسرتي لن تورثني شيئًا أسعد به، فلا يجوز أن أرث عنها ما أشقى به " [٣٠] .

وفي رواية "ثرثرة فوق النيل" نجد قضية الدين والعلم تأخذ بُعدًا أكثر تطورًا عما رأيناه في كل الروايات السابقة؛ حيث نجد ازدواجية خطيرة في فهم وتناول الدين وفي كيفية التعامل معه،

فالرواية تأتي تطورًا طبيعيًا ومتوقعًا لصورة الغرب وانطباعاتها على الثقافات الشرقية، كما تؤكد حركة النمو المطرد للفريق المقلد للغرب، التي تعبر عنها بعض الكلمات التي استخدمها محفوظ؛ حيث تعكس التوجه الفكري لهذا الجيل مثل (العصرية – الرجعية –الحرية – التحرر)، فقد استطاعت هذه الكلمات فصل الدين إلى حد كبير عما يشتمله المجتمع من علم وسلوك وثقافة، وذهبت شريحة عريضة من المجتمع المصري تلتمس أمورًا عده منها القيم والأخلاق والسلوك والعلم من منابع أخرى غير الدين.

وإذا أنعمنا النظر في رواية ثرثرة فوق النيل نجد نجيب محفوظ يستكمل ما بدأه عن قضية الدين والعلم أو الدين والمجتمع ولكن بصورة أكثر عمقًا، فقضية الدين والحياة عموما تأخذ بعدًا أخرًا هنا وتخرج من حيز الإشارة إليها إلى صورة أعمق بكثير، فيبدو أن القضية استكملت أطوار نموها حتى أصبحنا في هذه الرواية نرى مظاهر هذا الانفصال بين الدين وبين الحياة، ولا يصعب على القارئ أن يلاحظ دمج محفوظ الدين في الرواية مع باقي الأحداث دمجًا ينم عن وعي وقصد لإظهار هذا الانفصال بين الدين والمجتمع، فلا يكاد يخلو موقف إلا مع ربطه بالدين، فسهراتهم الماجنة تبدأ مع صلاة المغرب وتنهي مع صلاة الفجر، فهذا الاجتماع دائمًا مرتبطة بأذان ما" قد أعدت الجلسة بكل ما يلزمها وها هو عم عبده يؤذن لصلاة المغرب"[٣١]،فهذا المنوال نجده في كل ليلة لاهية، ولعل محفوظ يوضح لنا أن الأمر استقر عند هذه الشريحة بهذا الوضع والكيفية التي تجعلهم يمضون في استباحة لهوهم بدون أن يستوقفهم الأذان كأثر واضح على الإطلالة الجديدة التي يطل بها هذا الجيل.

ومع أن هذا الخفير هو الذي بنى المصلى بيده وهو يؤذن للصلاة، فلا يترك صلاة وهو أيضًا يؤم المصلين " قرة عيني الصلاة"[٣٢]،إلا أن ذلك لا يمنعه من تصريف أشياء العوامة سواء من مخدرات أو بنات الليل، يقول أنيس له: "جميل صوتك وأنت تؤذن، ولست دون ذلك جمالًا حين تذهب لتجيء بالكيف أو تغيب لتعود بفتاة من فتيات الليل"[٣٣].

إلا أن هذه الازدواجية انقسم حولها شخصيات الرواية، فمنهم من يعي تلك الازدواجية ويتصرف وفقًا لتغير المجتمع، ومنهم من فصل الدين عن الحياة وأصبح يدين بدين المجتمع، والقسم الأول يضم: عم عبده وهو رجل طاعن في السن عاصر العديد من الأحداث وشاهد على تبدل

قيم وعادات وإحلال أخرى مكانها، ومع أنه لا يستطيع التخلص من عاداته وقيمه وعباداته إلا أنه أيضًا يعاصر ويتكيف مع تغير الأوضاع وتبدل الأحوال فيقول:" أنا خادم السادة"(٣٤).

أنيس، أكبرهم عمرًا، ريفي يحاول أن يكمل دراسته في القاهرة، ولكن تضيق به السبل فينقطع عن الدراسة، وتضيق به الحياة فتموت زوجته وابنته فيفقد الإحساس بالحياة والرغبة فيها فينساب معها من خلال العوامة ونزلائها، ولكنه يذكر قيمه مع ذلك والتي نستشفها بين الحين والأخر في ثنايا الرواية.

كذلك أحمد نصر، فمع أنه أصغر سنًا من أنيس إلا أنه له منطق أخر يرجع إلى خلفيات تربيته وبيئته التي خرج منها، فمع أنه من ضمن نزلاء العوامة ويشاركهم في أعمال الكيف إلا أنه لا يشاركهم في شهواتهم النسائية؛ فما زالت بقايا نفسه مرتبطة بالدين والتدين، فهو لا يمتنع عن العصرية ولا يستسلم لها، فهو كما يقول:" همي الأول هو الستر"(٣٥)، ولكن الحياة العبثية التي يعيشها أصدقائه والتي يصفونها بالعصرية يقصرها فقط على فكرة فلا تخرج حيز التنفيذ مطلقًا؛ لذلك يعدونه من العصر التاسع عشر ويصفونه بالرجعية" اسكت يا رجعي إن أشنع تهمة في عصرنا هي الرجعية"(٣٦).

أما القسم الثاني في الرواية فيمثله رجب القاضي وخالد عزوز ومصطفي راشد وعلي السيد، فهؤلاء يدينون بدين المجتمع الجديد الذي فصل الدين عن الحياة، فمرقوا من مجتمعهم وما يفرضه من أخلاق وقيم، يقول مصطفي راشد مخاطبًا سمارة:" وفي الظلام قررنا أن نختبر عصريتنا فستبقنا إلى الاعتراف بأخطائنا... واعترف كل منا بآثامه. – آثامه؟! – أعني ما يعتبر كذلك لدى الرأي العام. – وكيف كانت النتيجة؟ –رائعة. – كم منها يعد جريمة؟ – عشرات. – وما يعد جنحة؟ – مئات. – ألم يرتكب أحدكم فضيلة ما؟ – المدعو أحمد نصر. – لعلك تعني اخلاصه لزوجته؟ – وللتعليمات المالية ولائحة المخازن والمشتريات؟ – وكيف كان رأيكم في أنفسكم؟ – أجمعنا على أننا طبيعيون ولا يشيننا شيء وأن الأخلاق التي تديننا أخلاق ميتة مستوحاة من عصر ميت، وأننا رواد أخلاق جديدة صادقة لم ينتظمها التشريع بعد. – برافو برافو"(٣٧).

وأما العنصر النسائي فيبدو أن له قناعاته الثابتة في الرواية التي لا تتغير، فسمارة مع أنها تمثل الجدية في الرواية، بل وتحاول أن تسحب شخصيات الرواية إلى هذه الجدية وانتزاعهم من العبث، كما نجد أن لديها قناعات ثابتة بجديتها وبمبادئها، فمع أنها تتعجب من إقبالهم على "الجوزة" إلا أنها لا تتحرج من شرب الويسكي أو تدخين سيجارة.

كما نجد ليلى زيدان تعتنق فكرًا فلسفيًا غربيًا؛ حيث تبين لنا بمنطقها الغربي خلفيات رفضها لدعوة أنيس للاختلاء بها بدلًا من رجب، يقول نجيب محفوظ:" وطرحت مسألة غاية في الفلسفة فقيل، أنها تحب خالد وأنها لذلك لا يمكن أن تزعن لرغبته هو على الرغم من صداقتهما وإلا كانت بغيًا"[٣٨]، ومن المحقق من أحداث الرواية أن ليلى صديقة رجب وعن طريقة عرفت العوامة، وأنه تركها بعد أن امتلئت أنفه من عبيرها فراح يستنشق أخرى، ومن هنا تركها لخالد كنوع من أنواع الورث –كما تصف أحداث الرواية – ومن المحقق أيضًا أن ليلى اختارت خالد لسبب مادي؛ حيث يتشابه مع رجب في وجوه عدة من حيث الثراء والشهرة مما يجعلها تفضله على صاحب الجلباب الأبيض، ولكنها تخفى السبب الحقيقي وتستتر خلف سبب غربي ولكنه يتسم بالمنطقية وفقًا للعصرية التي يعايشونها، فالبغي في نظر هذه الشريحة يبدو أنه يقتصر على هذا الوصف الذي ذكرته ليلى في رفضها لأنيس.

أما الرجل – في الرواية– وإن كان عابثًا فإنه يدرك عبثه جيدًا ويدرك ما يفعله، ويدرك موقع الحقيقة، فكل منهم أثم عابث، فهم لم يضلوا طريق الجدية فسقطوا في هوة العبث، ولكنهم هم الذين استبدلوا العبث بالجدية" وتساءلت ليلى زيدان لماذا تغرق العوامة، فأجاب العجوز لغفلة الغفير، فقال خالد عزوز: بل لغضب الرحمن على من فيها "[٣٩].

إذن فإن نجيب محفوظ استطاع من خلال أدبه وبفنيته الرائعة أن يعكس لنا بوادر كارثة أخلاقية نتجت عن انفصال الدين عن الحياة ونتج عن هذا الانفصال ارتباط مفكك بين الدين والعلم من ناحية والدين والحياة من ناحية أخرى ونتج عن ذلك أن راح فريق يبحث عن القيم والأخلاق والعقائد من مصادر أخرى غير مصادر الدين.

وإن الشواهد في الحضارة الإسلامية كثيرة جدًا والتجارب متعددة؛ حيث توضح بشكل لا يقبل الشك إطلاقًا موقف الدين الإسلامي من العلم، ولن نخوض هنا في هذا الشواهد؛ فهذه حقيقة إن غلفت على بعض الناس، فبعض تمهل تعود بالذهن إلى رشده ويستدرك ما فاته من

حقائق، يقول تعالى:" شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائمًا بالقسط هو العزيز الحكيم"[٤٠]،ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:" من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا سلك لله به طريقًا إلى الجنة"[٤١].

٣- الحرية والتحرر

إن كلمتي الحرية والتحرر كلمتان قديمتان قدم التاريخ الإنساني، وكانتا ملاصقتين لتطور الإنسان عبر العصور المختلفة، وإن لم يُستخدما بهذا المصطلح، وكانا على ما بهما من تقارب لفظي إلا أن الفرق المعنوي بينهما كبير، فالتحرر يعنى التخلص والفكاك من سطوة متحكم ما، إما أن يكون هذا المتحكم متحكمًا سياسيًا أو اجتماعيًا أو اقتصاديًا أو فكريًا، ، فالتحرر ثورة ستظل باقية في إرادة الأمم مادام هناك ما يقيدها، وثورة ستظل مشتعلة في نفس الإنسان مادام هناك حدود يريد أن يخترقها، وأما قيد الأمة فمعروف ومجرب عبر سنوات التاريخ ولا يخرج عن كونه قيدًا سياسيًا أو اقتصاديًا نابعًا من أهداف استعمارية، وأما حدود النفس البشرية فتتجدد دائمًا بتجدد العصور وبتوالي الأجيال فما يُعد حدًا في عصر ما لا يعد كذلك في عصر آخر.

وأمَّا كلمة الحرية[٤٢] فهي على اختلاف تعاريفها وتعدد مفاهيمها بين الأجيال المختلفة وتوسع مساحتها مع مرور السنين، إلا أن الأصل فيها أنها ترتبط دائمًا بفعل ما وممارسة معينة تتصف بالاستمرارية وتتطلب إرادة ما، فالتحرر ممارسة مؤقتة تنتهي بانتهاء القيد، والحرية ممارسة دائمة مستمرة، ومن ثم نجد أن الحرية تبدأ عندما ينتهي التحرر وليس العكس، والحرية والتحرر متلازمان، وثمار الحرية مرتبطة بنوعية التحرر، فإذا كان التحرر على أسباب سلبية ضارة بالمجتمع كانت ثمار الحرية نافعة، وإن كان غير ذلك كانت الحرية أشد ضررًا على الأمة وأكثر فتكًا بها.

وفي رواية "ثرثرة فوق النيل" نجد أن مفهوم كلمتي الحرية والتحرر قد أختلف عن الأصل الذي وضع له من ناحية، فإذا نظرنا لرأي الكتاب والمفكرين نجد أن الحرية والتحرر عندهم وسيلة لوطن أفضل. يقول قاسم أمين:" الحرية هي قاعدة ترقى النوع الإنساني ومعراجه إلى السعادة؛ ولذلك عدتها الأمم التي أدركت سر النجاح من أنفس حقوق الإنسان"[٤٣]، وهذا الفكر نجده عند العديد من المفكرين أيضًا منهم طه حسين حيث يقول:" نحن نعيش في عصر من أخص ما يوصف به أن الحرية والاستقلال فيه ليسا غاية تقصد إليها الشعوب وتسعى إليها الأمم، وإنما هي وسيلة إلى أغراض أرقى منها وأبقى وأشمل فائدة وأعم نفعًا"[٤٤]،ولكن هذه الرؤية للحرية عندما

أرادوا تطبيقها على المجتمع انحرفت أساليبهم، فنجد قاسم أمين يقود ثورة مجتمعية باسم الحرية على الحجاب، كذلك طه حسين ينادي بتقليد الغرب تقليدًا تامًا؛ لتحقيق هذا الهدف(٤٥).

ومن ناحية أخرى نجد أن مفهوم كلمتي الحرية والتحرر في ثرثرة فوق النيل يعكس تطورًا لاستخدامها، فهذه الكلمة الرنانة أخذت تطوف بأفكار المصريين وتتردد على ألسنتهم وكأنها رخصة تبيح لهم النفاذ بعقولهم لأي فكرة ومحاولة تحقيقها، فنجد مثلًا الدكتور ذكي نجيب محمود يقدم معالجة فكرية لموضوع الحرية في الشرق، وحدودها وكيفية تطبيقها، وذلك من خلال حوار أجراه معه أحمد عتمان؛ حيث سأله الأخير عن رأيه في القيود التي يضعها الرأي العام على الحرية الشخصية، وعما إذا كان تقييد الحرية الشخصية يحول دون تحقيق التقدم، يقول أحمد عتمان:" ألا يقف هذا القصور في مفهومنا للحرية حجر عثرة في سبيل إبداع الفرد وبالتالي يعوقنا عن التقدم وعن دخول عصر العلم؟"(٤٦).

ويتضح من هذا السؤال الربط الذي تم بين تحقيق الحرية الشخصية وبين تحقيق الإبداع من ناحية وتحقيق التقدم العلمي من ناحية أخرى، وهذه إشارة هامة وحقيقية في الوقت نفسه؛ أن كلًا من الفرد والمجتمع يؤثر في الآخر فالفرد الواعي يخلق مجتمعًا واعيًا، وكذلك المجتمع الفاسد يخلق فردًا فاسدًا.

وإذا عدنا للدكتور ذكي نجيب محمود لنتعرف على إجابته، سنجده يدلل على ضرورة تمتع الفرد بحريته الشخصية بمثال يخالف العاطفة الدينية والتقاليد الشرقية، ولكنه يتناسب مع رؤيته الغربية، فيقول:" طبعًا.. إننا نعاني كثيرًا من ضغط الرأي العام، والرأي العام مبني على كثير من الجهل؛ لأن معظم الناس أميون أو غير متعلمين، ومن ضغوط الرأي العام المجحفة والمتسلطة والمفترسة لحريات الأفراد مثلًا لو ضُبط إنسان يشرب الخمر في منزله لهجمت الغوغاء داخل حرم بيته، وهذا يعني حرمان الفرد أن يعيش كما يحلو له"(٤٧).

والذي كان انتشاره في مصر مظهرًا من مظاهر الوجود الغربي إفسادًا للعاطفة والفكر الشرقي، وقد أنبرت أقلام المتنورين الإصلاحيين من الأجيال السابقة في التنديد به، ولكننا نجده يساق هنا على لسان أحد أعمدة الفكر المصري الحديث كمثال على تطبيق الحرية الفردية، فمما لا شك فيه أن رأيًا كهذه يشارك في تزييف الوعي، ويخلق فكرًا مشوهًا يُنفر من الهوية الشرقية والعاطفة الإيمانية، ويرتمي في أحضان الغرب وما يحمله من فكر وثقافة.

ونستطيع أن نلمح ذلك التطور من مفهوم شخوص العوامة لكلمة عصرية، فالعصرية لديهم تعني التحرر من جميع القيود الاجتماعية والأخلاقية، ومن هذا المنطلق نجدهم يطلقون كلمة الرجعية على أية أفكار تدين لأخلاق أو معتقدات؛ ولذلك اتهموا أحمد نصر بالرجعية؛ لعدم موافقته على سلوكيات سناء المنحرفة، وكذلك نعتوه بالشذوذ لإخلاصه لزوجته وعدم خيانتها، كذلك يتضح هذا المفهوم جيدًا عندما أرادوا أن يختبروا عصريتهم من خلال كشف أخطائهم التي يدينها المجتمع، فبرغم ما اعترفوا به من آثام إلا أنهم لا يجدوا في ذلك انحرافًا بل يرون أن المجتمع متأخر؛ لأنه متمسك بأخلاق ميتة:" أجمعنا على ننا طبيعيون لا يشيننا شيء وأن الأخلاق التي تديننا أخلاق ميته مستوحاة من عصر ميت وأننا رواد أخلاق جديدة لم ينتظمها التشريع بعد"(٤٨).

ورواية ثرثرة فوق النيل لا نكاد نجد فيها كلمة حرية إلا نادرًا مثل الوصف الذي عبرت به عن ليلى زيدان:" ليلى زيدان، صديقة الأعوام العشرة الماضية، عانس في الخامسة والثلاثين كما ينبغي لرائدة في فضاء الحرية مرقت من بؤرة محافظة"(٤٩)، فالرواية متشبعة بمظاهر تلك الحرية التي لا يمكننا أن نقول إنها حرية غربية؛ فالحرية الغربية تقوم على أسس علمية ومنهجية هدفها خدمة المجتمع ولهذا وضعت لها قواعد تنظمها فلأسباب معينة تطلق ولأسباب أخرى تقيد وتمنع. ولكن الحرية الشرقية هي أقرب إلى الفوضى منها إلى الحرية، ولكنها فوضى منظمة قد يخدعك تنظيمها فتظن أنها تماشى الحرية الغربية، ولكننا إذا أخضعنا البيئة الغربية والشرقية للقياس فسيتبين لنا حقيقة زيف الحرية التي نتداولها في الشرق، يقول ستيوارت مل "عدم الاعتراف بمبدأ ثابت وقاعدة شاملة في باب الحرية كان من نتيجة أنها كثيرًا ما تمنح حيثما يجب أن تمنع كما أنها تمنع حيثما ينبغي أن تمنح "(٥٠)،. وفي موضع آخر:" والأصل أن الحرية لا يجوز منحها للأمة قبل أن تصبح على استعداد لإصلاح شؤونها بالمناقشة المبنية على أساس الحرية والتساوي"(٥١).

وإذا أردنا أن نلقي مزيدًا من الضوء على مظاهر هذه الحرية، سنجد أن مظهرها العام يدور حول كلمة" الإباحية" التي تعدت كونها كلمة تعبر عن الانحلال الأخلاقي والانحراف السلوكي حتى أصبحت في هذه الرواية تعبر عن اتجاه فلسفي تعتنقه تلك الشريحة يقول محفوظ عن خالد عزوز:" له فلسفة خاصة، لا أدري كيف أسميها ولكن الإباحية من سماتها الظاهرة"(٥٢). وهذه الإباحية ينتهجها كل أشخاص العوامة عدا أحمد نصر الذي تقتصر إباحيته

على الفكر فقط، فنجد ليلى زيدان باسم الحرية تتمرد على المجتمع بداية من هروبها من بيئتها المحافظة حتى ارتمائها في أحضان عوامة الملذات فهي" رائدة متهافتة مدمنة منحلة"(٥٣)، وكذلك سنية كامل التي تدفعها حريتها إلى ممارسة تعدد الأزواج، ونجد تلك الحرية أيضًا عند سناء التي تقبل وتختلي برجب بدافع من العصرية، فيقول الخفير لأنيس:" متى تذهب لحجرتك. فيرد عليه أنيس – فيها عروس جديد"(٥٤)، كذلك نجد هذه العصرية تدفع سمارة إلى التعرف على هذه العوامة؛ حيث تجذبها كيفيتها وكأن جزءًا من نفسها يهفو إليها، يقول على السيد مبددًا قلق أصدقائه من زيارة امرأة جادة العوامة:" حريتكم مكفولة في كل شيء، في القول والفعل، في التدخين والبذاءة"(٥٥).

ولعل محفوظ يريد أن يوضح لنا انحراف هذه الشخصية أيضًا التي نلمح من خارجها الجدية والايجابية المجتمعية، فوجودها لم يغير شيئًا من هيئة العوامة فالإباحية هي الإباحية رغم عن ذلك، ومع أن سمارة ترفض أن يختلى بها أحد في إحدى غرف العوامة إلا أنها تشاركهم أحاديثهم الماجنة وكذلك تشاركهم في تدخين السجائر أو شرب الويسكي، وكأن هناك جانبًا من العبث يطارد فكرها فنراها تقول:" في أويقات الراحة من العمل يعترضني العبث كأنه وجع الأسنان، ولكني أحاربه بإرادتي"(٥٦).

وهذا الانحراف النابع من الفهم الخاطئ للحرية نجده متأصلًا بشده عند باقي شخصيات العوامة، فخالد عزوز يرى أن الإباحية بداخلها حل لكافة المشاكل، ورجب نجدة لا يمتثل لمبدأ ولا يخضع لعقيدة "مهربه الحقيقي في الجنس"(٥٧)، كذلك على السيد" مثال لطائفة من المعاصرين الذين يهيمون على وجوههم بلا عقيدة ولا خلق ولا يتورع عن ارتكاب جريمة إذا أمن العقاب"(٥٨).

كذلك نجد أن الحرية العصرية التي يدين بها شخصيات الرواية تفرض أخلاقًا تتناسب مع العصرية التي يدينون بها، فنجد ليلى زيدان تحدد معنى جديد للبغاء، فالبغاء عندها ممارسة مطلقة للزنا دون أي قيود، ولكن ما تقوم به من تقديم نفسها لمحب فهذا ليس بغاء وإنما عصرية" إنها تحب خالد، وإنها لذلك لا يمكن أن تزعن لرغبته على الرغم من صداقتهما وإلا كانت بغيا"(٥٩).

إذن فإن رواية ثرثرة فوق النيل عكست انحراف مفهوم الحرية والتحرر عند الفكر المصري، فكلمة التحرر قد تجاوزت وظيفتها الحقيقية والأصل التي وضعت له، فالتحرر يخلص الفكر والإرادة من تحكم سلطة ليحقق من خلال ذلك الحرية، أما في رواية ثرثرة فوق النيل فقد تحولت الحرية إلى وسيلة للتحرر. التحرر من أي شيء، التحرر من العقيدة من الدين من الفكر من المجتمع والاتجاه إلى عالم ليس فيه حدود، لذلك نجد الدكتور طه السباعي يصف هذا الانحراف" هذه مفاهيم خاطئة عن الحرية نشأ عنها ما نراه في مجتمعنا من فوضى وفساد واضطراب في حياتنا السياسية والأخلاقية والاجتماعية وهي تزوير باطل لأنبل مبدأ من مبادئ الحرية الإنسانية وتصوير غير صحيح لمفهوم الحرية الفكرية والدينية حتى عند الغرب"[٦٠].

ومن خلال ما سبق نجد أن الحرية في الشرق لم تكن انعكاسًا للحرية الغربية وإنما كانت انعكاسًا لمظاهرها؛ لذلك فقدنا مقومات هذه الحرية وأسسها ومن ثم كانت الحرية عند الشرق غاية تسعى الأمة لإدراكها وليست وسيلة تستخدمها الأمة لترقى؛ لذلك أصبحنا نطلقها على كل شيء، ومن ثم كانت الحرية والتحرر صورة من صور الغرب التي تطورت بعد ذلك في الشرق إلى الصورة التي وجدناها في ثرثرة فوق النيل.

٤– المرأة

صورة المرأة في روايات محفوظ صورًا واقعية تصف الواقع وتعبر عنه مثلها مثل باقي العناصر الأخرى التي تحويها روايات محفوظ،"[٦١].وهذا الواقع الذي يُجسد حالة المرأة في هذا الزمن والذي يصوره نجيب محفوظ لا نراه في أي رواية سابقة مما يعكس مدى التغير الذي طرأ على المجتمع المصري، وكذلك يدل على أن هذا الواقع المسؤول عنه عنصر الزمن وحده بما يحمله من فكر.

فهذا الزمن يجعل تطور المرأة المصرية أثرًا من آثار المدنية الغربية وانعكاسًا لصورة الغرب؛ وذلك لأن المؤثرات الغربية على المجتمع المصري بكل طوائفه لم تستقر فيهم دفعة واحدة وبنفس المقدار والكيفية، ولكن هذه التأثيرات أخذت تتدرج في عقول وأذهان الشعب بنسب متفاوتة وتتأرجح بين الموافقة والمعارضة ومحاولة التوسط إلى أن وصلنا بفضل العوامل السياسية والاجتماعية والفكرية إلى هذه الصورة الذائبة، إلى أن تحقق لدى المصريين ذهنية خاصة تجاه الغرب تقوم على التفاهم ومحاولة تطبيق نظمهم الثقافية والاجتماعية على المجتمع المصري.

وكان من أهم الاسهامات الفكرية التي تدعم هذا التوجه رؤية قاسم أمين الإصلاحية التي اتضحت من خلال كتابيه تحرير المرأة والمرأة الجديدة، والتي أرست مبادئ اجتماعية جديدة في

حياة المرأة، فهذه الصورة التي جسدها محفوظ للمرأة كانت تطورًا لرؤية قاسم أمين التي تبناها.

وهذه الرؤية الإصلاحية التغريبية كانت قائمة على مبدأين: **الأول** يتعلق بالهدف الذي يريد تحقيقه منها، وهو أن ترتفع أحوال المرأة المصرية إلى ما يُمكنها من تحقيق مكانة علمية وأدبية راقية تأسيًا بالمرأة الغربية(٦٢).

وإذا نظرنا إلى رواية ثرثرة فوق النيل لنرى مدى تطور صورة المرأة المصرية فيها بعد ما يقرب من مرور ٦٧ عامًا من دعوة قاسم أمين نحو تحرير المرأة، وما سبقه من محاولات رفاعة الطهطاوي ومَن أيدوهم وقنعوا قناعتهم وأمنوا لرأيهم مثل لطفي السيد وسعد زغلول وهدى شعراوي ودرية شفيق وغيرهم الكثيرين ممن حملوا مشاعل النور لطريق النساء المصريات المظلم لينيروا لها دربًا نحو العلم والتعلم والحرية وخدمة المجتمع، ؛ لنقف على أبعاد هذه الدعوات الفكرية ذات الأهداف الاجتماعية إلى أي مدى حققت أهدافها، وهل حصلت المرأة المصرية على المكانة الاجتماعية والثقافية التي أفنى رجال ونساء أعمارهم في نضال مستمر لتحقيق الحرية التي تستحقها المرأة، نجد أن الرواية تحوي صورًا تعكس طفرة في أحوال المرأة المصرية فنجد أدوارًا متعددة للمرأة، فهناك شخصية ليلى زيدان التي تعمل مترجمة في وزارة الخارجية، والصحفية سمارة الحاصلة على ليسانس اللغة الإنجليزية، والطالبة سناء التي تدرس في كلية الآداب، كما أن هناك شخصية سنية كامل التي تؤدي دورها كزوجة وأم ومع ذلك فهي تتمتع بقدر كبير من الحرية.

أمَّا **المبدأ الثاني** فيتعلق بالوسيلة التي سيحقق من خلالها هذا الهدف، فيرى قاسم أمين أن المرأة لن تصل إلى تلك المكانة إلا إذا تمتعت بالحرية، والحرية عنده هي:" استقلال الإنسان في فكره وإرادته وعمله متى كان واقفا عند حدود الشرائع، محافظًا على الآداب، وعدم خضوعه بعد ذلك في شيء لإرادة غيره، فهذه الحرية على ما بها من سعة هي التي يجب أن تكون أساسا لتربية نسائنا"(٦٣).

وهذه الحرية وفقًا لرؤية قاسم أمين لن تتحقق إلا على أساسين، **الأول** هو خلع الحجاب يقول:" وأما الحرية فمزاياها هي إزالة جميع المضار التي تنشأ عن الحجاب... وليس من الممكن أن تصل المرأة إلى هذه المنزلة الأدبية ما دامت في الحجاب، ولكن من السهل جدًا أن تصل إليها بالحرية[٦٤].

وقضية الحجاب قد ثبتت ملامحها واختفت الآراء المعارضة لها من الساحة الفكرية مما يدل على أن دعوات قاسم أمين قد عرفت طريقها إلى النور، فعلى الرغم من أن العنصر النسائي زاخر في الرواية إلا أننا لا نجد أثر يعكس وجود الحجاب في هذه الشريحة والذي تعددت الدعوات لخلعه في القرن التاسع عشر لفتح المجال أمام المرأة للانخراط في المجتمع ولتحقيق المنفعة المجتمعية ومشاركة الرجل في تحقيق التقدم للأمة.

ولكن **هل اقتصر الأمر على خلع النقاب فقط؟** إننا إذا رجعنا إلى كتاب تحرير المرأة لنتذكر أساسًا من الأسس التي بنى عليها قاسم أمين دعوته وهو خلع النقاب؛ لنقف بوضوح على حقيقة رأيه نجده يقول:" ربما يتوهم ناظر أنني أرى الآن رفع الحجاب بالمرة، لكن الحقيقة غير ذلك فإنني لا أزال أدافع عن الحجاب وأعتبره أصلًا من أصول الأدب التي يلزم التمسك بها غير أني أطلب أن يكون منطبقًا على ما جاء في الشريعة الإسلامية"[٦٥]، فهذا الرأي يقف بنا عند حد المطالبة بخلع النقاب والالتزام بما تنص عليه الشريعة وهو أن ما يمكن اظهاره من جسد المرأة هو الوجه والكفين.

ولكن في رواية "ثرثرة فوق النيل" لا نجد هذا الوضع المنضبط الذي بينه قاسم أمين ولا نجد أن تطور المرأة في الحياة العقلية والأدبية وقف بها في مكانة معتدلة تتناسب ومقتضيات الشرع والفطرة الإنسانية الشرقية وعلى الوضع الذي يحفظ كرامة المرأة ويحافظ على مثارات الشهوة وعاطفة الحياة، ولكن نجد أن هذه الدعوة أخذت مسارًا مختلفًا عما أوضحه قاسم أمين وربما يكون لقاسم أمين نفسه دور في هذا التطور الذي وضع أمامه النموذج الأوربي وأغفل العاطفة الشرقية؛ فقد تطورت هذه الدعوة التحررية إلى خلع الحجاب كله، فنجد في الرواية انعكاسًا لذلك حيث فيصور لنا محفوظ شعر ليلى زيدان الذهبي" أقبلت فتاة معتدلة القامة ذات شعر ذهبي"[٦٦]،

بل إن الأمر قد تطور عن خلع الحجاب بالمرة إلى تخفيف بعض ملابس المرأة كأثر من آثار تقليد المرأة الغربية، يقول أنيس:" وقارن بين ملابسها البسيطة المكونة من قميص أبيض وجونيلا رمادية وبين جلبابه الأبيض، وقال لنفسه لعله لأسباب تتعلق بمهنتها أو بجديتها أن طوق القميص لا ينحسر عن شيء من مشارف ثدييها كالأخريات"(٦٧).

الأساس الثاني: هو تحقيق الاستقلال للمرأة في الفكر والإرادة والعمل، وهنا نتساءل ماذا يقصد قاسم أمين بالاستقلال في الفكر والإرادة والعمل؟ لعل أول ما يتبادر إلى الذهن هو أن تصبح للمرأة المصرية شخصيتها المستقلة فلها الحق في التفكير، وكذلك تستطيع تقبل أشياء وترفض أخرى، ولها الحق في العمل ولا خوف هنا من اتساع معاني هذه الكلمات فقد ضبط أطرها ضبطًا سليمًا حينما قال:" متى كان واقفًا عند حدود الشرائع، محافظًا على الآداب" وكان قد أكد على هذا المعنى أيضًا في كتابة تحرير المرأة عندما طالب بحرية المرأة وفقًا للشرائع.

ولكن إذا تعمقنا في فكر قاسم أمين سنجد أن رؤيته قد انحرفت عن الشرائع والآداب التي طالب بالوقوف عندها عندما تعرض لتطبيق هذه الرؤية؛ فنراه يقول:" بلغ من أمر احترام الرجل الغربي لحرية المرأة أن بنات في سن العشرين يتركن عائلاتهن ويسافرن من أمريكا إلى أبعد مكان في الأرض، وحدهن أو مع خادمة، ويقضين الشهور والأعوام متغيبات في السياحة، متنقلات من بلد إلى أخر، ولم يخطر على بال أحد من أقاربهن أن وحدتهن تعرضهن إلى خطر ما"(٦٨)، ويقول في موضع آخر:" كان من حرية المرأة الغربية أن يكون لها أصحاب غير أصحاب الزوج"(٦٩).

ويبدو أنه أراد أن يزيل من أذهان الفكر المصري أي قلق قد يعتريه من خطورة الاختلاط بين الرجل والمرأة بهذه الهيئة والكيفية، فيرى أن التجارب قد أثبتت أن هذا الاختلاط لا ضرر منه وأنه لا يؤثر على استقرار الاسرة وثبات دعائمها، فيقول:" ومع كل ذلك ترى نظام بيوت الغربيين قائمًا على قواعد متينة !ونرى هؤلاء الأمم في نمو مستمر ولم يحل بهم شيء من المصائب التي يهددنا بها أولئك الكتاب والفقهاء من قومنا الذين أطالوا الكلام من شرح المضار التي تنتج عن إطلاق الحرية للنساء فهذه ممالك أوروبا جميعًا، نساؤها ورجالها مختلطون، في كل أطوار الحياة وفي كل آن، وها هم إخواننا وأبناء وطننا المسيحيون، واليهود الذين تركوا عادة الحجاب من عهد قريب، وربوا نساءهم على كشف وجوههن، ومعاملة الرجال، فأين هم من الاختلال والهلاك؟!"(٧٠).

فقاسم أمين هنا أستورد فكرًا غربيًا، ويسوق له أدلة غربية تثبت إمكانية تحقيقه في مصر اعتمادًا على نجاح هذا الفكر في أوروبا، فمن البديهيات أن البيئة الشرقية لها من الخصائص والمقومات ما يختلف عن البيئة الغربية، مما يجعل نسبة نجاح تجربة ما في البيئتين تختلف اختلافا كبيرًا، وقاسم أمين كان يدرك ذلك جيدًا من خلال رده على هجوم الدوق "دراكو" على المجتمع المصري، وذلك في كتابه "المصريين" الذي نشر سنة ١٨٩٤حيث يقول:" أما في مصر، فنحن نؤثر الفضيلة على كل ملذات الدنيا بل على الحياة نفسها، وتلك تقاليد المسلمين ومشاعرهم على مدى القرون السابقة ومن أجل ذلك حافظنا على نسائنا من كل ما يفتنهن، وكل هذا قد وثق الروابط الأسرية عندنا بينما أدى التسامح المعيب في الغرب إلى تفككها"(٧١).

كما أن رؤيته للأسرة الفرنسية أنها قائمة على أسس متينة تخالف فكره الذي ظهر في نفس الكتاب الذي انتقد فيه أحوال المرأة الفرنسية أثناء دفاعه عن المرأة المصرية التي هاجمها الدوق دراكو؛ حيث وضح قاسم أمين أن وضع المجتمع الفرنسي وما يبيحه من اختلاط النساء بالرجل مهد الطريق لانتشار الرذائل، فأصبحت المرأة الفرنسية تقودها شهواتها وملذاتها وانتهي الأمر إلى مجتمع بلا أخلاقيات، فيذكر لنا الدكتور ماهر حسن فهمي جانبًا من جوانب هذا الكتاب" المرأة الباريسية هي التي تعيش لغرائزها ولا شك أن مرجع كل ذلك إلي الاختلاط الشديد بين الرجل وبين المرأة التي تهيأ لها كل ظروف الرذيلة،...فهناك النزهات الطويلة حيث يقضي الرجل والمرأة وقتًا في جو مثير للأحاسيس حيث يخلوان إلى نفسيهما على العشب وهناك حمامات البحر حيث ترتدي المرأة لباسًا كل تقاسيم جسمها، وهناك الحفلات الصاخبة والولائم المليئة بكؤوس الخمر حيث يصطحب الصديق زوجة صديقه فتنعقد الألسنة ويفقد الجميع إرادتهم وعقولهم ولا تسيطر في هذا الجو إلا النزوات والعواطف الجامحة ثم هناك بعد ذلك الحفلات الراقصة حيث تلبس النساء ثيابًا شفافة عبث بها المقص من كل ناحية، ويحتضن الرجال النساء ويتحركون مع أنغام الموسيقى والرؤوس على الأكتاف فهل بعد كل هذا تهتك وهل نتوقع إلا الانحلال الخلقي"(٧٢).

فهذا الاختلاف الفكري يقودنا إلى تخيل كم الارتباك الثقافي الذي أصاب المجتمع المصري، فهذه الثقافة الغربية التي تكونت لدى قاسم أمين والتي أدخلها بجرأة لم يسبقه إليها أحد إلى المجتمع المصري رغم الجوانب الإصلاحية التي تحويها إلا أنها مهدت

طريقًا نحو تغريب الثقافة والوعي الشرقي في مصر، وكانت النافذة التي خرج منها جيل "ثرثرة فوق النيل" من هويتهم وعقائدهم الدينية والشرقية.

وإذا نظرنا إلى رواية "ثرثرة فوق النيل" نجد ثمرات هذا الفكر الغربي، وكذلك نجد نتيجة الاختلاط الذي نادى به قاسم أمين، ليتأكد لدينا تنامي الصورة الغربية التي تبناها قاسم أمين والتي تدرجت في ذهنية الأجيال اللاحقة بعده لتتخذ هذه الهيئة في هذه الرواية.

ومن ثم جاءت الصور السلبية في الرواية والتي صورها نجيب محفوظ كمرأة للواقع المصري في ذلك الوقت، فكانت صورًا تعكس خروج المرأة عن الإطار السليم للمرأة الشرقية، ومخالفتها كل العادات والتقاليد الأصيلة المتوارثة برعاية وتشجيع من شريحة كبيرة من مثقفي ومفكري المجتمع، فإذا نظرنا مرة أخرى للعناصر النسائية السابقة نجد أنهم بجانب دورهم الذي يؤدونه في المجتمع كانوا انعكاسًا صريحًا للثقافة الغربية وتمثيلًا واضحًا لها، وتجسيدًا واقعيًا للصورة الأخيرة من صور الغرب وهي الصورة الذائبة؛ حيث اصبحت المرأة المصرية بعد أن كانت تحاكي المرأة الغربية في ثقافاتها وتعليمها وطرائق لبسها لتحقق قدرها من الحرية ليكون لها عونا لخدمة مجتمعها بما لا يحيد عن الأعراف الاجتماعية التي لا تتعارض مع الشرع، أصبحت في هذا الجيل تمارس هذه الثقافات الغربية كأنها واقع حي في المجتمع المصري وأسلوب من أساليب العصرية والتحضر بدون أي اعتبارات لعقيدة أو عادات وتقاليد شرقية، فنجد ليلى زيدان رغم عملها كمترجمة مرموقة في وزارة الخارجية إلا أنها تمارس عادات غربية تمامًا فنجدها مدمنة على شرب الخمر والمخدرات وكذلك المخالطة المحرمة للرجال التي لا تخلو من ارتكاب الزنا.

كذلك شخصية سناء تلك الفتاة التي دون العشرين، التي يبدو أن العوامة ليست تجربتها الأولى بل يبدو أنه كان هناك تجارب أخرى رغم حداثة سنها مما يدلل على مدى انفتاح المجتمع في ذلك الوقت، فيقول رجب ردًا على لوم أحمد نصر له لعدم مراعاة حداثة سنها:" لست أول فنان في حياتها"[٧٣]، فهذه الفتاة يدفعها طموحها في التمثيل أن تجتمع بشخصيات كشخصيات العوامة وأن تنتهج نفس سلوكياتهم دون مراعاة أو احتراز، مما يعكس طبيعة الأسرة التي خرجت منها والمجتمع الذي نشأت فيه، فصورة هذه المرأة تعكس انحراف فن التمثيل عن الأصل الذي وضع له حتى أصبح هو أيضًا صورة من صور الغرب، فنجد أن الصورة الغربية لهذا الفن لكي تكتمل فنيتها لا بد لها من سلوكيات غربية يمارسها الممثلون حتى يستقيم فنهم، فيقول رجب

لسناء:" زمي شفتيك، أريني كيف تقبلين، احذري الخجل، الخجل عدو فن التمثيل، أمام الجميع قبلة حقيقية بكل معنى الكلمة، قبلة يجب أن يتحسن بعدها الموقف الدولي وطوقها بذراعيه القويتين الطويلتين وتلاقت شفتاهما بقوة وحرارة وصمت وسكتت فيه الأشياء حتى القرقرة"[٧٤].

كذلك نجد أن شخصية سنية كامل التي تؤدي دور المرأة الأزلي وهو الزوجة والأم نجد أن الثقافات الغربية المتحررة قد وصلت إليها، فنجدها تتمتع بقدر كبير من الحرية تمكنها من ترك بيت زوجها وتذهب إلى عوامة أصدقائها القدامى لتنعم بجو من اللهو والفساد ملؤه الدخان والسكر، جو تستطيع أن تمارس فيه تعدد الأزواج؛ حيث ترتمي في أحضان ما يسمونه الزوج الاحتياطي، يقول علي السيد:" لم نرك منذ رمضان الماضي!... زيارة عابرة.

– زيارة دائمة.

–هذا يعنى أن زوجك قد هجرك

فقالت وهي تتناول الجوزة: أو أنني هجرته، ضبطه يغازل جارة جديدة.

– جاء دور الزوج الاحتياطي"[٧٥].

ومما يؤكد هذه الحقيقة شخصية سمارة تلك الفتاة الصحفية النشيطة، التي جعلها المؤلف تمثيلًا للرؤية المعيارية في الرواية؛ حيث تتخذ موقفًا جادًا من الحياة ومُشَاركة ايجابية في المجتمع ومطلعة على التطورات السياسية الداخلية والخارجية، كذلك كان وجودها في الرواية بمثابة الباعث الذي يحاول أن يخرج الشخصيات الأخرى من حالة العبث إلى الجدية فتقول لهم:" ألا يهمكم حقًا شيء مما يدور حولكم"[٧٦] لذلك فإن من المنتظر والمتوقع منها أن تقدم لنا انعكاسًا لصورة المرأة المعتدلة التي تمثل الشرق والغرب معًا، امرأة تمثل خلاصة فكر وثقافة وخبرات وتجارب مع الغرب عند ذلك الجيل.

فإذا نظرنا لهذه الشخصية وفقًا لتاريخ تطور المرأة وأوضاعها المختلفة وفي ضوء ما اشتملت عليه الدعوات التحررية للمرأة ومتطلباتها نعرف بشكل لا يدعو إلى الشك كيف انحرفت المرأة المصرية عن المسار المخطط لها، فشخصية سمارة مع أنها تمثل المثالية في الرواية بالنسبة لباقي الشخصيات إلا أنها تحمل معتقدات ثقافية غربية داخل تكوينها وتتعامل معها كأنها شيء عادي، مما يدل على أن **المعيارية الروائية في الرواية لم تسلم من الثقافات الغربية**، ولكن الأمر أكثر خطرًا من مجرد ثقافات وعادات غربية، فالخطورة تتمثل في أن خيوط الحياة تسير سيرتها دون أن

نعي حقيقة تصرفاتنا ونحن نظنها من الحرية والعصرية، فنجد تلك الصحفية اللامعة تمتنع عن شرب "الشيشة" وتنتقد سبب إقبال الناس عليها فتقول" لماذا يعشق الناس غيبوبتها؟ لماذا يهيمون بالنعاس الناهل"[٧٧]، وفي نفس الوقت لا تمانع شرب كأس من الويسكي " وذكر رجب بأن لديهم ويسكي فرحبت بكأس"[٧٨]، كما أنها تشاركم في شرب السجائر "جذبت نفسًا متمهلًا من السجارة"[٧٩].

وإذا أردنا أن نلقي الضوء بصورة أكبر على هذه الصورة فلنتأمل رؤية شخصيات الرواية الرجال للمرأة والتي تعكس بشكل واضح طبيعة وجود المرأة في ذهنية رجل هذا الجيل وكيف يراها وبماذا يحكم على تصرفاتها. فنجد أن هناك رؤيتين للمرأة في الرواية، **الرؤية الأولى**: منبثقة من بعض العادات والتقاليد المتبقية من الشرق الأصيل، فأصحاب هذه الرؤية رغم مشاركتهم في أحداث العوامة إلا أن بعض آثار الشرق القديم ظلت باقية في وجدانهم ويمثل هذه الرؤية أحمد نصر وعم عبده، **والرؤية الثانية** منبثقة من قلب الثقافات الغربية ومعبرة عنها ودليل على اختلال القيم وانهيار العادات والتقاليد واعتناقهم عادات جديدة مثلت لهم العصرية والحضارة؛ لذلك اتهموا أصحاب الرؤية الأولى بالرجعية والتخلف ويمثل هذه الرؤية باقي شخصيات العوامة.

فنجد أحمد نصر يعلق على رؤية ليلى زيدان الفلسفية للحب ويقول:" جميل أن تدعى ساقطة الأمس بفيلسوفة اليوم"[٨٠] كما أنه يعترض على سلوك سناء مع رجب ويقول لرجب" البنت صغيره"[٨١]، وآراء أحمد نصر لا تتماشى مع فكر وممارسات باقي الشخصيات ويرون أن مواقفه تمثل رجعية تحتاج إلى دراسة طبية "هذا هو المتوقع منك أيها القرن التاسع عشر"[٨٢]، ومع أن أحمد نصر يشاركهم في العبث إلا أن عبثه لا يتعدى كونه فكره ولم يدخل حيز التنفيذ فلا زالت عادات الشرق بداخله ولم يستطع أن يتمرد عليها كالأخرين، يقول موضحًا فكره" إن كل حي هو جاد ويمارس حياته على أساس من الجدية، وأن العبث يقتصر عادة على الأدمغة "[٨٣].

كذلك شخصية عم عبده الضاربة في القدم، يقول أنيس " لست خبيرًا في تقدير الأعمار ولكن الراجح أنه كان يسعى في الأرض قبل أن تغرس أول شجرة في شارع النيل"[٨٤]، على رغم من طبيعة عملة الذي يقتضى خدمة العوامة وتوفير وسائل الكيف لقاطني العوامة من المخدرات أو فتيات الليل فهو خفير الملذات، إلا أنه لم يستطع أيضًا التخلص من الجانب الشرقي داخل

نفسه، فنراه لا يرى فرقًا بين نساء العوامة وبين فتيات الليل فكلهن بواغي في نظره يقدمن أنفسهن للرجال في إطار غير شرعي، ولكن أنيس له رأى أخر يعكس رؤية جديدة وعصر جديد يقول عم عبده:" فتيات شارع النيل ألطف وأرخص، فقهقه أنيس طويلًا وقال، يا جاهل وهل هؤلاء كأولئك

- عندهن أعضاء أكثر؟
- كلا ولكنهن سيدات محترمات
- أووه
- لا يبعن أنفسهن ولكنهن يمنحن ويأخذن كالرجال سواء بسواء
- أووه "[٨٥].

فهذه الرؤية تمثل **العصرية** عند هذه الفئة من المثقفين، وإذا علمنا أن أنيس رجل ذو أصول ريفية يتبادر إلى أذهاننا مدى التغيير الفكري والثقافي كما يبدو من تلك المحادثة بينه وبين عم عبده، فعلى الرغم من تصرفات نساء العوامة المنافية تمامًا للعادات والتقاليد والشرائع فنجد أنيس يصفهم مع ذلك بأنهم "سيدات محترمات"، وشخصية أنيس مع أنها تبدو أكثر شخصية مغيبة وغير واعية في الرواية إلا أن تصرفاته وأحاديثه تنم عن عمق معين ودراية وحكم واعي وإن كان صادرًا من جسد مخدر، فنراه ينتقد زملائه في العمل في موافقتهم الدائمة لأفعال المدير لا لصواب قراراته ولكن تملقًا ونفاقًا فيقول:" صادف الكيف جوًا فاسدًا مقرفًا"[٨٦]، فمع أنه مسطول إلا أنه استطاع أن يدرك مبادئه ويتعرف على مواطن الخلل وينتقدها، ولعله الوحيد أيضًا الذي يعلم حقيقة العوامة والوحيد أيضًا الذي ينطوي عبثه على سبب محدد، ولعله بسبب عمله الروتيني البسيط بعد أن كان طالبًا بكلية الطب التي اضطر إلى ترك الدراسة بها بسبب انقطاع الموارد عنه، أو بسبب موت زوجته وطفله " لم يعد للقلب من هم يحمله مذ دفن في التراب أعز ما كان يملك"[٨٧]، ولهذا فإن أنيس يدرك عبثه جيدًا وهذا لا يمنعه من اظهار فكره ورؤيته لذلك نراه يقول عن العوامة " الحب لعبة قديمة بالية ولكنه رياضة في عوامتنا والفسق رذيلة في المجالس والمعاهد ولكنه حرية في عوامتنا، والنساء تقاليد ووثائق في البيوت ولكنهن مراهقة وفتنة في عوامتنا والقمر كوكب سيار ولكنه شعر في عوامتنا، والجنون مرض في أي مكان ولكنه فلسفة في عوامتنا والشيء شيء حيثما كان ولكنه لأشيء في عوامتنا"[٨٨].

كما أن أنيس الوحيد الذي انتقد التصرف المادي الذي اتخذه شخصيات العوامة تجاه ضحية الحادثة، لذلك؛ فإن أنيس عندما أطلق على نساء العوامة سيدات محترمات فإن هذه الرؤية **تعكس معيارية معينة وليست مجرد رؤية نابعة من شخص عابث**، فهذه الرؤية توضح مدى انحراف الفكر والثقافة عند هذا الجيل عن أطرها السليمة، وهو يفسر رؤية هذا الجيل للمرأة رؤية تختلف عن رؤية الأجيال السابقة، ومن هنا كانت هذه الأحداث تجسيدًا وانعكاسًا للصورة الأخيرة من صور الغرب وهي الصورة الذائبة.

فإن فصل القول في قضية المرأة المصرية ينتهي بتساؤل نجد أنفسنا بصدده هنا وهو: **هل هذه الصورة التي جسدتها رواية ثرثرة فوق النيل تمثل الأصالة للمرأة المصرية المعاصرة، هل هذه الصورة انعكاس حقيقي لدعوات المفكرين الذين انبرت أقلامهم دفاعًا عن حقوق المرأة؟** إن هذه الصورة إن كانت انعكاسًا لشيء فهي انعكاس لسنوات طويلة من الكفاح في سبيل قضية المرأة المصرية التي لطالما ظلمت وهمشت منذ الحكم التركي، وقد كانت قبله تتمتع بمقدراتها وحرياتها، وكان لها من المكانة العلمية والأدبية ما جعلها تصل مكانة ريادية عظيمة بين العالم، ثم اختلط هذا الظلام التركي بسنوات طويلة من الفقر والقهر والظلم في ظل استعمار غاصب، لم يغتصب الأرض فقط ولكن اغتصب أيضًا روحانية الشرق وعقائده وعاداته، وتركه يلهث في ظلال حضارة كاذبة ليست حقيقية، فتركهم ضحية عادات وثقافات غربية دنيئة، وحريات غربية زائفة نزلت في نفوس المصريين كالمعول الهدام يهدم كل ما هو جميل وروحاني في النفس الإنسانية الشرقية، فصورة المرأة هذه ليست إلا انعكاسًا لهذه الظروف والعوامل التي مثلت عائقًا كبيرًا أمام الفكر المصري في الأجيال السابقة فمنعه من تحقيق فكرة الوسطي المعتدل في الموازنة بين الشرق والغرب، وأصبحت هذه العوامل الاجتماعية والسياسية عامل تشويش على الأفكار والاتجاهات القومية مما أدى بها إلى الانحراف شيئًا فشيئًا حتى وصلنا إلى هذه الصورة في رواية ثرثرة فوق النيل. يقول عبد الرحمن الكواكبي في كتابه طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد:" الاستبداد يسلب الراحة الفكرية، فيضني الأجسام فوق ضناها بالشقاء فتمرض العقول ويختل الشعور على درجات متفاوتة في الناس والعوام الذين هم قليلو المادة في الأصل وقد يصل مرضهم العقلي إلى درجة قريبة من عدم التمييز بين الخير والشر في كل ما ليس من ضروريات حياتهم الحيوانية، ويصل تسفل إدراكهم إلى أن مجرد آثار الأبهة والعظمة التي يرونها على المستبد وأعوانه تبهر أبصارهم ومجرد سماعهم ألفاظ التفخيم في وصفه وحكايات قوته وصولته يزيغ أفكارهم فيرون

ويفكرون أن الدواء في الداء فينصاعون بين يدى الاستعمار انصياع الغنم بين الذئاب حيث هي تجرى على قدميها جاهدة إلى مقر حتفها"[٨٩].

فمن رحم هذه الظروف بزغ فكر قاسم أمين، ومن خلال المشاهدات الغربية اكتسب قوته؛ لذلك كان تطبيقه لرؤيته معتمدًا على أدوات غربية، ومن هنا جاءت نتائج رؤيته عند الأجيال اللاحقة مخالفة للهدف الذي ارتقبه؛ حيث فقدت هذه الأجيال الهدف تدريجيًا حتى وصلنا إلى النموذج الذي وجدناه في رواية "ثرثرة فوق النيل"، الذي يخالف بكل المقاييس الهوية الشرقية والفطرة الإسلامية السليمة، والذي يعكس بشكل لا يقبل الشك انحراف رؤية هؤلاء المثقفين وانفصال وعيهم عن حقيقة مجتمعهم بسبب الارتباك الثقافي الذي تعرض له الفكر والثقافة؛ نتيجة الانفتاح الشديد على الثقافات الغربية، يقول أدغارد موردن:" قد يتعرض الفكر إلى كبوات وعجز فهو ليس في غاية الصفاء؛ فالفكر به حاجة إلى تنظيم داخلي (كما في اللعبة الحوارية بين التحليل – الخلاصة، والتوضيح- الفهم) وإلى تنظيم خارجي (مواجهة الواقع الخارجي)... إن العقل الذي لا تنتظمه التجربة والملاحظة والتحقق يقود إلى العقلنة وهي مترابطة منطقيًا ولكنها خاطئة تجريبيًا، فالفكر يحمل دائمًا في داخله خطر الخلل[٩٠].

فالمنهج الذي اعتمد عليه فقاسم أمين وغيره من المفكرين الذين ساروا على نفس الدرب اعتدوا على منهج غير علمي في تحقيق مكانة أدبية وعقلية للمرأة، بل كان في حقيقته يتسم بالسطحية الشديدة ولم يقترب من حيز الدراسة العلمية، فلم يلتفت إلى أحوال المرأة العقلية والثقافية ويحاول إقامة فكرها المتهدم؛ ولم يلتفت إلى طبيعة البيئة المصرية، ولم يختبر مدى تقبلهم لرؤيته، ولكنه قذف فكرته في خضم المجتمع المصري بجرأة لم يسبقه إليها أحد، مما أدى إلى تعرضه إلى العديد من الاضطهادات؛ حيث ثارات ضده العديد من الموجات الغاضبة رفضًا واستنكارًا لما يذهب إليه من أفكار، فانبرت الأقلام تهاجم هذا الفكر، حتى حُرم من دخول قصر عابدين، ووصل الأمر إلى أن جاء رجل إلى بيت قاسم وطلب أن ينفرد بزوجته[٩١].

ومع ذلك ورغم الأفكار التي كان يدعو إليها قاسم أمين، إلا أنه **لم يخطر بفكره قط أن تصل دعوته إلى هذه الصورة التي صورتها ريشة رواية ثرثرة فوق النيل**، فأنه إن كان أخطأ الاستدلال والقياس واغفل الواقع الاجتماعي والنفسي للمجتمع المصري إلا أن دعوته كانت في أصلها مستقطبة من وحي الشرائع الدينية، ولكن اندفاعه وتسرعه في تحقيق مكانة لائقة لمصر

جعله ينحرف عن الأصل الذي انبثقت من خلاله رؤيته، تقول زوجته:" إن بنات الجيل الحالي وشبابه قد أخطأوا فهم هذه الدعوة وتجاوزا مداها فالمظهر التي تظهر به فتيات هذا العصر ليس سفورًا، بل هو بهرجة فظيعة لم يكن يخطر على بال قاسم أن ينادى بها، أو يدعو إليها، وأني اعتقد أن قاسم بك لو كان حيًا لما رضي عن هذه الحال، بل لانبرى إلى محاربتها"[٩٢].

إذن فرواية "ثرثرة فوق النيل" تمثل صورة الغرب الأخيرة التي تُعد الأكثر أهمية والأشد خطورة، والأقوى أثرًا، والأوسع انتشارًا من الصور السابقة، فهذه الصورة الذائبة مع الغرب، شكلها الوعي واللاوعي المصري على حد السواء، وهي النتاج الأخير الذي تتوقف وتنتهي عنده كل الاتجاهات والتيارات الفكرية التي انقسمت أراءها حول الغرب منذ أن انفتح المصريون على الثقافة الغربية، فهي حصيلة أكثر من مائة عام من الاختلاف حول الأخذ عن الغرب ومقدار هذا الأخذ وكيفيته. وقد استطاع نجيب محفوظ أن ينقل رؤيته لفكر هذا الجيل من خلال هذا العمل الروائي، فيقول نجيب محفوظ عن ثرثرة فوق النيل: نبهت أن كارثة قومية كانت قد بدأت تطل برأسها على السطح، وكان لابد أن يكون لها نتائجها الخطيرة، كنت أعنى محنة الضياع وعدم الإحساس بالانتماء التي يعاني منها الناس خاصة في أوساط المثقفين الذين انعزلوا عن المجتمع وأصبحوا في شبه غيبوبة، الغيبوبة التي يعيشها أبطال ثرثرة فوق النيل تمثل نوعًا من الانتحار الزائف وطريقًا للخلاص من المشكلات التي يواجهونها"[٩٣].

فمن خلال رواية ثرثرة فوق النيل تعرفنا على المادية الشرقية التي ظهرت بقوة وطغت على الروحانية الشرقية وتعرفنا على التغيرات الفكرية عند المرأة وتوجهها الجديد مقارنة بالروايات السابقة كذلك انفراد نجيب محفوظ بتأطير قضية الدين والحياة، ثم القضية الشائكة حتى الآن وهي الحرية وسلبياتها وإيجابياتها، كما أن نجيب محفوظ يرسل لنا من خلال عمله الفني تنبيهًا من خطورة الوضع وما يمكن أن يتطور عنه في المستقبل فيقول على لسان أنيس:" ويوما ستحمل لنا مياه النيل شيئًا جديدًا يستحسن ألا نسميه"[٩٤].

لذلك فإن رواية "ثرثرة فوق النيل" التي فك غموضها المنهج الثقافي يمكن اعتبارها وثيقة فنية تاريخية مهمة تمثل نهاية الاختلاف حول الغرب، وتعلن عن بداية مرحلة جديدة يتصل فيها الشرق بالغرب بشكل أعمق، ويتسم هذا الاتصال بالتناغم مع الغرب فلا يعيقه تشدد ما ولا يؤرقه أيديولوجيات تحاول التوسط بينه وبين التراث الشرقي، ولكن يذوب الشرق في الغرب حتى

تصبح الثقافة وأنماط التفكير الغربي هي نفسها في الشرق، كما تُعد وثيقة تأريخية لتطور حركة الثقافة والفكر الحديث في مصر وقضاياه المتعددة منذ اتصاله بالغرب، وكذلك تأريخًا اجتماعيًا لحركة تطور المرأة المصرية، بداية من صورتها في رواية حديث عيسى بن هشام؛ حيث لم يكن لها وجود يذكر وإنما كانت المرأة تعبيرًا عن حدث أو موقف وليس شخصية بعينها، ومرورًا برواية زينب التي لم يستطع هيكل أن يكتب اسمها إلا بعد أن اطمئن أن المجتمع المصري مستعد لتقبل اسم امرأة يقدم علنًا هكذا(٩٥)، ومن هنا انطلقت العديد من الروايات التي تعبر عن المرأة وتسعى نحو تحقيق شخصيتها حتى وصلنا إلى رواية ثرثرة فوق النيل لتحصد ثمرات هذا التطور. فثرثرة فوق النيل ما هي إلا مرحلة تطورية عن مراحل سابقة ومن المحقق أن الروايات التي تلتها تعد مرحلة متطورة عنها.

ومن خلال ما سبق يتضح لنا أن الأدب له هدف ويتبنى رؤية ويعبر عن فكرة ويعالج خللًا ما ويتصدى لخطر يحيق بالأمة، فالأدب بوجهه الجديد له أدوار يقوم بها لمجتمعه ولأمته؛ ولذلك قد ينحرف الأدب عن مهمته فيؤدى إلى مضار فكرية عظيمة ولهذا نجد الدكتور جابر عصفور يقول:" إننا نواجه نوعين من المرايا يرتبطان بنوعين من الكتاب ونوعين من الأدب: مرآة تزيف وعي الجماعة بذاتها ومرآة تجدد وعي الجماعة بهذه الذات"(٩٦).

فعلينا أن نوجه الإنتاج الأدبي وجهته السليمة التي ترتقي بالمجتمع وتشكل وعي الأمة التي تعبر عنه، فنحن الآن ندرك حقيقة حضارتنا وما أصابها من فتور وضعف بعد أن تكشف الضباب الذي كان مخيمًا على الفكر المصري منذ اتصاله بالغرب، فلا أقل من أن نستفيد من التجارب السابقة ونكون من خلالها منهجًا فكريًا وأدبيًا لتحقيق نهضة مستحقة منذ عدة قرون، وأن يمارس الأديب فيها دوره الحقيقي؛ حيث يخلق وعيًا جديدًا لأمته يتشكل به فكرها منبعه التراث الشرقي من ناحية والعلم الحديث من ناحية أخرى. يقول توفيق الحكيم :" لو علم رجل الفن خطر مهمته، لفكر دهرًا قبل أن يخط سطرًا"(٩٧).

الهوامش

(١) إدوارد سعيد: الاستشراق، ت: محمد عناني، ط١، دار رؤية، القاهرة، صـ١٤٤.

(٢) على عبد الحليم محمود: الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، إدارة الثقافة والنشر جامعة الإمام محمد بن مسعود الإسلامية، ١٩٨١، ص٨٧.

(٣) علي جريشة، محمد شريف الزيبق: أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، ط٣، دار الاعتصام، المدينة المنورة، ١٩٧٩، ص١٩.

(٤) محمد فتحي عبد الوهاب: الحركات النسائية في الشرق وصلتها بالاستعمار، د.ط، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٧٩، ص٧.

(٥) انظر: شوقي ضيف: البارودي رائد الشعر الحديث، ط٥، دار المعارف، د ت، ص١٠.

(٦) انظر: عبد الرحمن الرافعي: تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر، ط٦، دار المعارف،١٩٢٨، ج١، ص٥٤.

(٧) أحمد على عجيبة: أثر الكنيسة على الفكر الأوربي، مرجع سابق، ص١١٩

(٨) شوقي ضيف: الأدب العربي المعاصر، مرجع سابق، ص٢٢.

(٩) توفيق الحكيم: فن الأدب، د.ط، دار مصر للطباعة، د.ت، ص٣٠.

(١٠) هذه الروايات لها نظائر أخرى تشاركها في نفس الرؤية والاتجاه، وقد اختيرت هنا باعتبارها ممثلة لتلك النظائر الروائية؛ لأن تكرار المثل لا ضرورة له.

(١١) عبد الرحمن الرافعي: في أعقاب الثورة المصرية، ط٣، دار المعارف، ١٩٨٨، ج٢، ص٣٤٣.

(١٢) انظر: المرجع السابق، ص٨٢.

(١٣) عبد الرحمن الرافعي: ثورة يوليو١٩٥٢، ط٢، دار المعارف،١٩٨٩، ص.

(١٤) انظر: محمود محمد سليمان: الأجانب في مصر، ط١، عين للدراسات والبحوث الإنسانية،١٩٩٦، ص ٩٥-١٣٣-٢٠٨-٢١٧-٢٤٣.

(١٥) انظر: على جريشة، الاتجاهات الفكرية المعاصرة، ط٢، دار الوفاء للطبع والنشر،١٩٨٨، ص١١.

(١٦) نجيب محفوظ: ثرثرة فوق النيل، ط٥، دار الشروق، ٢٠١٢، ص٤٦.

(١٧) المصدر سابق، ص ٣١.

(١٨) المصدر السابق، ص٦٤.

(١٩) المصدر السابق، ص٦٢.

(٢٠) المصدر السابق، ص٨٣.

(٢١) المصدر سابق ص١٢٦.

(٢٢) المصدر السابق، ص١٣٧.

(٢٣) المصدر السابق، ص١٤١.

(٢٤) المصدر السابق، ص١٤٥

(٢٥) علي جريشة، محمد شريف الزيبق: أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، ط٣، دار الاعتصام، المدينة المنورة،١٩٧٩، ص١٨.

(٢٦) انظر، أحمد جمال علي: صورة الغرب في الرواية المصرية بين جيلي هيكل ونجيب محفوظ، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة قناة السويس، ٢٠٢٠.

(٢٧) نجيب محفوظ: القاهرة الجديدة، ط٤، دار الشروق، القاهرة،٢٠١٦.، ص٢٤.

(٢٨) المصدر السابق، ص٥٤

(٢٩) المصدر السابق، ص٨٦

(٣٠) االمصدر سابق، ٧٥.

(٣١) رواية ثرثرة فوق النيل، مصدر سابق، ص٥٥.

(٣٢) المصدر السابق، ص٨٠

(٣٣) المصدر السابق، ص٦٦.

(٣٤) المصدر السابق، ص٧٨.

(٣٥) المصدر السابق، ص٨٧.

(٣٦) المصدر السابق، ص٤٥.

(٣٧) المصدر السابق، ص٦٦.

(٣٨) المصدر السابق، ص٨٧

(٣٩) المصدر سابق، ص٧٦.

(٤٠) سورة آل عمران، الآية١٨.

(٤١) أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ط١، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٥، ص٨٦.

(٤٢) لقد ارتبط في الأذهان أن هناك اختلافًا بين مفهوم كلمة الحرية في الثقافة الغربية عن مفهومها في الثقافة العربية الإسلامية؛ حيث إن كلمة "الحرية" في اللغة العربية نقيضة للعبودية، والتحرر نقيض الرق، أمَّا كلمة الحرية بالمفهوم الغربي الحديث تعني الاستقلال من ظلم الاستعمار وتعني عدم ولاية الرجل على المرأة وتعني انطلاق الإرادة الفردية تحت النظم الديمقراطية أو الدستورية، والحقيقة أن هذا المعني الحديث للحرية الغربية لم تكن الثقافة الإسلامية في حاجة إليه ولا إلى التعريف به؛ حيث إنه متأصل فيها وأساس من أسسها التي تقوم عليه؛ فالإسلام أكد على الحرية المدنية والاجتماعية والسياسية للمرء ؛تقديرًا لأدميته وإنسانيته، كما أن الإسلام يساوي بين الناس جمعيًا في هذه الحقوق، كذلك أعطى للمرأة حقها في أن يكون لها شخصية مدنية مستقلة، كما أقر الإسلام حرية الفكر، والحرية السياسية. أما قضية الرق

التي اقتصر عليها مفهوم كلمة الحرية في الثقافة العربية الإسلامية، فإن تناول الإسلام لها دليل ناصع وكافي على تشبع الثقافة الإسلامية بحريات لم يصل لإدراكها الفكر الغربي الحديث، ففي حين يسن الإسلام القوانين لتقليص الرق والقضاء عليه انتهاجًا لمبدأ "التدرج"، ظل الرق مستمرًا في أوروبا حتى القرن السادس عشر. أمَّا الرق في الثقافة الإسلامية فقد اتخذ مفهومًا مغايرًا تمامًا عن مفهومه عند الغرب، فرغم أن الرق كان دعامة ترتكز عليها النظم الاقتصادية، إلا أن الإسلام عمد إلى معالجة ذلك النظام، بأساليب مادية ومعنوية حتى تلاشى هذا النظام. إذن فهذا المعني المعجمي لكلمة الحرية في الثقافة العربية يحوي من معاني الحرية ما لم يحويها فكر أو ينتظمها دستور. انظر في ذلك: أحمد جمال علي: صورة الغرب في الرواية المصرية بين جيلي هيكل ونجيب محفوظ، مرجع سابق، ص١٣٧،١٣٦،١٣٥،١٣٤.

(٤٣) قاسم أمين: المرأة الجديدة، د.ط، مؤسسة هنداوي، ٢٠١٢.، ص٢٦.

(٤٤) طه حسين: مستقبل الثقافة في مصر، ط٣، دار المعارف،٢٠١٥، ص١٥.

(٤٥) انظر: طه حسين: المرجع السابق، ص ٤١.

(٤٦) أحمد عتمان: طريقنا إلى الحرية، ط١، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، ١٩٩٤، ص٦٧.

(٤٧) المرجع السابق، ص ٦٨.

(٤٨) ثرثرة فوق النيل، مصد سابق، ص١٢٣.

(٤٩) ثرثرة فوق النيل، مصدر السابق، ص١٦.

(٥٠) جون ستيوارت مل: الحرية، ترجمة طه السباعي، ط١، مؤسسة مكتبة ومطبعة الشعب١٩٢٢، ص٢٨٤.

(٥١) المرجع السابق، ص١٧٩.

(٥٢) ثرثرة فوق النيل، مصدر السابق، ص٣٤.

(٥٣) المصدر السابق، ص٩١.

(٥٤) المصدر السابق، ص٣٢.

(٥٥) المصدر السابق، ص٣٧.

(٥٦) المصدر سابق، ص١٥٥.

(٥٧) المصدر السابق، ص٨٩.

(٥٨) المصدر السابق، ص٨٩.

(٥٩) المصدر السابق، ص١٨.

(٦٠) طه السباعي: أخلاقنا الاجتماعية، د.ط، مكتبة الشباب المسلم، د.ت، ص٦٩.

(٦١) عبد المحسن طه بدر: الرؤية والأداة، الرؤية والأداة، ط٣، دار المعارف، د.ت.، ص٧٦.

(٦٢) انظر: قاسم أمين، المرأة الجديدة، مرجع سابق، ص١٠.

(٦٣) قاسم أمين، المرأة الجديدة، مرجع سابق، ص ٢٦.

(٦٤) المرجع السابق، ص٣٩.

(٦٥) قاسم أمين: تحرير المرأة، د.ط، مؤسسة هنداوي، د.ت، ص ٣٧.

(٦٦) ثرثرة فوق النيل، مصدر سابق، ص١٦.

(٦٧) المصدر السابق، ص٥٢.

(٦٨) قاسم أمين: المرأة الجديدة، مرجع سابق، ص٤١.

(٦٩) المرجع السابق، ص ٤١.

(٧٠) قاسم أمين: المرأة الجديدة، مرجع سابق، ص٤١.

(٧١) ماهر حسن فهمي: قاسم أمين، مرجع سابق، ص١١٢.

(٧٢) المرجع السابق، ص١١١.

(٧٣) ثرثرة فوق النيل، مصدر سابق، ص٥٧.

(٧٤) المصدر سابق، ص٣١.

(٧٥) المصدر السابق، ص٢٣.

(٧٦) المصدر سابق، ص٤٦.

(٧٧) المصدر السابق، ص٤٨.

(٧٨) المصدر السابق، ص٤٥.

(٧٩) المصدر السابق، ص٤٥.

(٨٠) لمصدر سابق، ص٣١.

(٨١) المصدر السابق، ص٣٤.

(٨٢) المصدر السابق، ص٣٧.

(٨٣) المصدر السابق، ص٦٣.

(٨٤) المصدر السابق، ص١٢.

(٨٥) المصدر السابق، ص ٣٣.

(٨٦) المصدر سابق، ص١١.

(٨٧) المصدر السابق، ص٢١.

(٨٨) المصدر السابق، ص٩٨.

(٨٩) عبد الرحمن الكواكبي: طبائع الاستبداد ومصارع العباد، ط٣، دار النفائس،٢٠٠٦، ص١٠٨.

(٩٠) إدغارد موردن: المنهج، ت: هناء صبحي، ط١، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي، ٢٠٠٩، ص١٢٨.

(٩١) انظر: ماهر حسن فهمي: قاسم أمين، مرجع سابق، ص٧٥.

(٩٢) ماهر حسن فهمي: قاسم أمين، مرجع سابق، ص٧٣.

(٩٣) رجاء النقاش: مقال بعنوان: نجيب محفوظ صفحات من مذكراته وأطوار جديدة على أدبه وحياته الذي نشره الأهرام ١٩٩٨.

(٩٤) ثرثرة فوق النيل، مصدر سابق، ص٢٩.

(٩٥) عبد المحسن طه بدر: تطور الرواية العربية الحديثة، ط٥، دار المعارف،١٩٦٣، ص٣٢٢.

(٩٦) جابر عصفور: المرايا المتجاورة، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣، ص٨٥.

(٩٧) توفيق الحكيم: فن الأدب، د.ط، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، د.ت، ص٧٢.